الملاحم

١٣

سلسلة

شهداء الجزيرة

سيرة الشهيد

أبي حفص الحضرمي

سعيد سالم العكبري

بسم الله الرحمن الرحيم



في الظلام الدامس ووسط غسق الليل ...

غلام يافع يتلفت يمنة ويسرة عليه أثر الخوف والذعر يتنقل من حارة الى أخرى يبحث عن رجل يكنى بأبي حفص. دخل إحدى الحارات فوجد مجموعة من الشباب الملتزمين يتبادلون الحديث،دنا منهم بخطوات وجله ثم سألهم بنبرة حزينة:من منكم يعرف أبا حفص؟ دلوني عليه لو سمحتم؟ قال له أحد الحاضرين– وكان طويل القامة عريض الجسم ذا لحية خفيفة يضرب شعره بمنكبيه –: أنا أبو حفص! ماذا تريد؟ تنهد الغلام ثم قال لأبي حفص:أريد أن أكلمك في أمر خاص ...

أخذ الغلام بيد أبي حفص ومشي به قليلا ثم قال له والدموع تتساقط من عينيه: سمعت أن البلاطجة في ديس المكلا يخافون منك فجئت إليك لتذهب معي إلى أحدهم في حارتي كان قد ضربني وتعرض لي بالأذى ، وليس لي أحد يحميني منه. مسح أبو حفص على رأس الغلام وهدأ من روعه وانطلق به الى حارته يبحث عن من أذاه .

انتشر خبر مجيء أبي حفص لحارة الغلام فما كان من الأشرار إلا أن فروا بجلودهم وفي مقدمتهم الرجل الذي تعرض للغلام بالأذى، فأبو حفص معروف في حارات ديس المكلا، لا تُجهَل صولاته ولا تخفى جولاته قبل الالتزام وبعده ....

ومن ذلك اليوم أصبح الغلام مهابا في حارته لا يجرؤ أحد أن يتعرض له بالأذى أو يمسه بسوء كل ذلك خوفا من مجيء أبي حفص !!!

فمن هو أبو حفص؟!

إنه البطل المقدام سعيد سالم بادول العكبري (تقبله الله)

يعجز اللسان ويحار البيان في وصف هذا الشهم الأبي الذي عُرِف بين الناس بالكرم والشجاعة ونصرة المظلومين والمستضعفين، وإن شئتم فاسألوا عنه الأهالي في ديس المكلا، اسألوهم عن سعيد وأخلاقه الفاضلة ومواقفه المشرفة. كان دمث الأخلاق سهل المعشر لين الجانب صاحب دين وورع، كثير الذكر لله تعالى. عُرف بالغيرة على حرمات الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتألم لحال إخوانه المسلمين في كل مكان.

سعيد والتألم لحال أمته:

رأى ما يجري لإخوانه في فلسطين والشيشان والعراق وأفغانستان من قبل اليهود والصليبيين وعملائهم، فلم يطب له العيش ولم تحلُ له الحياة،فقرر أن يلبي نداء الله ويلحق بركب المجاهدين في بلاد الرافدين وذلك في بداية الغزو الأمريكي.

وصل سعيد إلى سوريا ومكث فيها فترة من الزمن حاول خلالها دخول العراق ولكن شاء الله عز وجل ألا يدخل لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، ونفد المال الذي بحوزته فقرر العودة إلى اليمن وبعد رجوعه بأيام علم به جلاوزة الأمن السياسي في حضرموت (المجرم جريزع وجواسيسه) فطاردوه ليسجنوه ولا ذنب له الا أنه حاول دخول العراق لينصر إخواته المسلمات هناك.

ظل مطاردا ملاحقا من قبل العملاء حتى توسط له بعض الوجهاء وجاؤوا به إلى الأمن السياسي، وفرح الضباط بمجيئه حيث كان اختفاؤه يؤرقهم وغيابه يشغل بالهم...

مد الضباط أيديهم ليصافحوا سعيد فأبى أن يصافحهم ورفض أن يضع يده الطاهرة في أيديهم النجسة التي كم عذبت من إخوانه المسلمين وكم نكلت بأحبائه المجاهدين، وشاهد والد سعيد الموقف ورأى ابنه وهو يرفض مصافحة الخونة فذرفت عيناه بالدموع خوفا على ابنه سعيد من أن يمسه مكروه من قبل الأمن السياسي أو تفشل الوساطة ...

وهنا ؟؟؟ قال سعيد كلمته المشهورة مخاطبا الضباط: (والله لن تذهب دموع والدي سدى وستدفعون ثمنها !!!) كلمات يسيرة نزلت كالصاعقة على ضباط الأمن السياسي لأنهم يعلمون أن سعيد العكبري إذا قال فعل ...

سعيد يمد المجاهدين بالرجال:

مُنِعَ سعيد من السفر وعُمِمَ اسمه في المطارات فلم يجلس مكتوف اليدين يلتمس الأعذار بل عمل في تشكيل خلية مهمتها إمداد المجاهدين في العراق بالرجال، وأصبح منسقا يقصده الشباب من بلاد الحرمين ويمن الإيمان يستخرج جوازات السفر للمطلوبين،ويهيئ الظروف المناسبة لسفرهم ولا يهدأ له بال حتى ينيخوا رحالهم في العراق.



سعيد يأوي كبار المطلوبين:

وفي فترة انشغال سعيد بإرسال المجاهدين للعراق وقع في تلك الفترة حدث عظيم هز الأمريكان وعملاءهم،ألا وهو نجاة ثلاثة وعشرين مجاهدا من قبضة الأمن السياسي بصنعاء، حيث مكنهم الله من حفر نفق تمكنوا من خلاله من النجاة من الأسر.

وقد كان على رأس الناجين كبار المطلوبين لأمريكا اليوم كالشيخ أبي بصير ناصر الوحيشي أمير تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب والقائد العسكري أبي هريرة قاسم الريمي وغريب التعزي –تقبله الله– والقائد حمزة القعيطي –تقبله الله– وفواز الربيعي تقبله الله.

ومن حفظ الله لهؤلاء الرجال وعنايته بهم أن اختار لنصرتهم وإيوائهم طرازا خاصا من الرجال...

رجالٌ ... الشجاعة والإقدام شعارهم ... والجود الكرم دثارهم...

رجالٌ ...عُرِفُوا بصدق الوعود... واشتهروا بالوفاء بالعهود...

وكان من هؤلاء المناصرين سعيد العكبري حيث شرفه الله وتفضل عليه بأن جعله من أوائل من آوى ونصر الشيخ أبا بصير ومن معه من المطارَدِين في سبيل الله ...آواهم في أحلك الظروف... ووقف معهم في أصعب الأوقات حتى إنه خرج من عمله وفرغ نفسه لخدمتهم وتأمين المآوي لهم وتأمين سيرِهم وتنقلهم من مكان لآخر ...

سعيد يقع في كمين غادر:

تحمل سعيد على كاهله الكثير من أعمال المجاهدين، فكان يواصل الليل بالنهار ولا يقر له في إنجاز المهمات قرار ... يتحرك بين الولايات إما لحمل رسالة أو لمقابلة أخ ... أو لترتيب عمل ...

فتى يحمل الأعباء لو كان غيره من الناس لم ينهض بها متماسكا

ولاحظ الأمن تحرك سعيد المتوالي ...ونشاطه المتتابع ... فلم يطمئنوا له، فنشروا جواسيسهم ... وبثوا أعينهم في كل منعطف ... يراقبون تحركاته... ويسجلون تنقلاته حتى قرروا في الأخير إلقاء القبض عليه فنصبوا له كمينا غادرا بالقرب من المسجد الذي يرتاده سعيد "مسجد الشهداء".

أحاط جنود العمالة بسعيد وحاصروه في منطقة ضيقه شاهرين عليه بنادقهم ... وكان من المشاركين في العملية جمع غفير من العساكر وكبار الضباط بالأمن السياسي كمدير التحقيقات عوض الهزيلي والضابط عبدالله الرباكي، حاول سعيد أن يفلت من الكمين فلم يتمكن وشاء الله له أن يؤسر.

ولم يكتف طغاة الأمن السياسي بأسره – تقبله الله – وإنما داهم جنودهم الأنذال بيت سعيد وروعوا نساءه وأطفاله، وعبثوا بأثاث منزله عليهم من الله ما يستحقون.

سعيد في مدرسة يوسف عليه السلام:

في سجن الأمن السياسي بحضرموت تعرض سعيد لأنواع من التعذيب يندى لها الجبين على يد المجرم عوض الهزيلي، حيث كان يقوم بتعليقه الساعات الطويلة حتى يدلي لهم بمعلومة واحدة، فلم يفلحوا في كسر عزيمته أو لي إرادته...

وما هي إلا أيام حتى حولوه إلى جوانتانامو اليمن (السجن السياسي بصنعاء) ليذوق على أيدي الجلادين هناك صنوفا من التعذيب تشيب لهولها الولدان ...

مات والده حزنا عليه وهو في السجن فثبت البطل ولم يتزعزع ولم ينحنِ للظالمين، وشهد له من عايشه في السجن بكثرة العبادة، وإيثار إخوانه على نفسه بكل ما أوتي، فضلا عن مقارعة حراس السجن ومواجهتهم إذا تعرضوا لأي سجين بالأذى ...

تعرف خلال فترة الأسر على المرتدين من قرب فرأى ما يدور في سجونهم من إرهاب، وعاين الأغلال تكبل المئات من خيرة الشباب الذين ليس لهم ذنب إلا حب الجهاد وميادينه، والسعي لنصرة شرع الله ودينه ...

صبر سعيد على شدائد السجن وأهوال الأسر حتى جاءه الفرج بعد أربع سنوات قضى أكثرها في الزنازين الانفرادية، يعطر ليله بالاستغفار والقيام، ويزين نهاره بالقرآن والصيام.

سعيد من السجن إلى المجاهدين مباشرة:

خرج سعيد العكبري من سجن صنعاء ولم يذهب إلى بيته ليلتقي زوجته وصبيانه ويجتمع بوالدته وإخوانه،وإنما عمل عملا لم يقم به أحد من قبله، عملا لا يقوم به إلا أهل الهمم العلية والنفوس الأبية، عملا كم أغاظ المرتدين وسر أفئدة المؤمنين ..أتدرون ماذا صنع؟ لقد توجه مباشرة من السجن إلى أبين العز عرين الأسود، وانضم هناك لإخوانه المجاهدين في أنصار الشريعة!

نعم مباشرة من الزنازين والقيود إلى ساح الأمجاد والصمود ليلقن زبانية نظام صنعاء درسا مفاده أن السجون لا تزيد الأبطال إلا ثباتا ولا تزيد أهل الجهاد إلا صمودا.

وجاء يوم الوفاء ...:

وصل سعيد العكبري إلى أبين العز، فمن يا ترى كان في استقباله ذلك اليوم؟ ومن كان المسارع في استضافته ونصرته وإيوائه؟ يا الله عجيب أمر هذه الدنيا!!

جاء أحد الإخوة يحمل خبرا للشيخ أبي بصير – حفظه الله –مضمونه أن هنالك شخص خرج من السجن وجاء إلينا مباشرة!! سأل الشيخ أبوبصير عن اسم الرجل فلم يجد جوابا، فسأل عن وصفه فقالوا له بأنه رجل طويل القامة عريض الجسم أسمر البشرة إحدى عينيه مصابة؟ هنا قام الشيخ مندهشا يطلب من حراسه أن يخرجوه حالا وبسرعة ليستقبل ذلك الرجل، فرفض الأخوة طلب الشيخ ومنعوا خروجه في وضح النهار حفاظا على سلامته وسلامة مأواه من أن ينكشف، ووعدوه بأن يخرجوه في الليل، لكن الشيخ أصر على الخروج وصمم على أن يلتقي بالرجل ولو في وضح النهار. تعجب الأخوة من إصرار الشيخ رغم محاولاتهم الجادة لثنيه واجتهادهم في إقناعه بعدم الخروج، وما كان منهم إلا أن استسلموا لطلبه و أخذوه ليرى الرجل.

مشي الشيخ أبو بصير يطوي الأرض بخطواته طيا حتى وصل إلى صاحبه، ولم يصدق ما ترى عيناه، وظن أنه في حلم.سلم الشيخ على الرجل وتعانقا عناقا حارا تأثر منه الحاضرون، وانتظر الإخوة انتهاء السلام والمعانقة وكلهم متلهف يريد أن يعرف من هو هذا الشخص الذي يحظى بكل هذه المحبة من الشيخ أبي بصير ...

التفت الشيخ للحاضرين والسرور يكسوا محياه قائلا لهم: (هذا يوم الوفاء... هذا يوم الوفاء. أعرفكم على هذا الأخ إنه أخي سعيد العكبري الذي آواني بعد نجاتي من سجن صنعاء، هذا سعيد الذي نصرني وإخواني الناجين معي ووقف بجانبنا وبذل في نصرتنا الغالي والنفيس)، وراح الشيخ يلقي كلمة على الإخوة يحدثهم فيها عن مواقف سعيد العكبري وتضحياته في نصرة الجهاد والمجاهدين، وفي ذلك اليوم عين الشيخ أبو بصير سعيد العكبري أميرا على ولاية حضرموت.

سعيد يجاهد في حضرموت:

استلم سعيد ولاية حضرموت فرص الصفوف ووزع المهام ورسم الخطط ورصد الأهداف وما هي إلا أيام يسيره حتى افتتح عمله الجهادي بعمليتين جريئتين فقأ بهما عيني الأمن السياسي وذلك باغتيال ضابطين من ضباطه هما العقيد الجاسوس عبدالعزيز أبوعابس (عميل الأمن القومي والسياسي) والجاسوس عبدالعزيز باشراحيل واللذين قُتِلا في أسبوع واحد.

توالت الضربات وتصاعدت حدة الهجمات وبارك الله في عمليات سعيد النوعية، فسقط على يديه الكثير من عملاء نظام صنعاء الذين أعلنوا الحرب على الله بدخولهم مع الأمريكان في الحرب على الإسلام ...

مدير الأمن يترجى سعيد ويرسل الوسطاء!

هكذا هو العدو... جبان لا يحترم إلا الأقوياء... رعديد لا يهاب إلا الشرفاء ...

ما أن بدأ سعيد العكبري بعملياته التي كسرت شوكة الجواسيس العملاء، حتى طاشت عقولهم وتحيرت أحلامهم وبدؤا يبحثون عن حل يؤمن لهم أرواحهم ويجنبهم كمائن الموت التي جندلت الكثير من زملائهم.

لقد دب الرعب وسط الضباط والجنود حتى بلغ الأمر من الشدة بمدير الأمن السياسي عبدالله جريزع مبلغا دفعه ليقول لأحد الأخوة الأسرى السابقين عندما لقيه: قولوا لسعيد العكبري يوقف عملياته، قولوا له يوقف قتل الضباط ويسلم نفسه!!!

ونسي هذا العتل الجواظ أن كل ما يجري في حضرموت ما هو إلا حصاد لما زرعه بيديه من ظلم لأبنائها المجاهدين الذين ملأ بهم زنازينه ونكل بأهاليهم، وسامهم سوء العذاب كل ذلك لا لشيء إلا ليرضي أسياده الصليبيين!

سعيد يفرح السجناء بعملياته:

لقد عايشت تلك الأيام بنفسي، وكنت أرى الأخوة الأسرى وهم يقيمون الولائم ويحيون الحفلات الإنشادية ابتهاجا بكل عملية يقوم بها سعيد،وكانت ألسنتهم تلهج بالدعاء له والثناء عليه، وكيف لا يفرحون وقد شَفَى غليلهم – رحمه الله – بعملياته المرعبة لأعداء الملة.

كان سعيد على تواصل بالأسرى في حضرموت يرسل لهم الرسائل يثبتهم فيها ويصبرهم، ويبشرهم فيها بأنه قارب على الانتهاء من وضع خطة لاقتحام السجن، وأنه ما عليهم إلا الصبر اليسير.

تعلق قلبه – تقبله الله – بالأسرى، فلا يحمل هما إلا همهم ولا قضية إلا قضيتهم، لقد كان وفيا مع إخوانه، نعم لقد كان وفيا بكل ما تحمله الكلمة من معنى ...



وتحقق الحلم ...

هذا هو طريق الجهاد... سبيل شائك ودرب مخوف لا يقصده إلا الرجال .. يثبت فيه الصادقون ويتساقط على جوانبه المتراجعون ...

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب

فارسنا العكبري ... أخذ الطريق بحقه... فذاق فيه طعم المطاردة... وتجرع مرارة الأسر...والتفح بهجير الغربة ... كل ذلك ليحقق حلما تمناه رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

لابد للشمس من مغيب... ولابد للقصة من نهاية ...ولابد للبطل من خاتمة تخلد ذكره في أنصع صفحات التاريخ ...

لقد كان فارسنا على موعد مع أمنيته التي كم انتظرته وانتظرها ... وكم اشتاق لها واشتاقت له ... والتقيا أخيرا ... بعد سنوات من الجهد والعناء ...

تحرك سعيد من حضرموت قاصدا ولاية أبين وبرفقته اثنين من المجاهدين ذهبوا جميعا ليأتوا ببعض الأغراض التي أخرتهم في اقتحام السجن السياسي بحضرموت، وبالقرب من مديرية عتق وقعوا في نقطة تفتيش مفاجئة لعساكر نظام صنعاء

العميل قامت بإيقافهم، حيث انتشر العشرات من الجنود في كل مكان واقترب ضابط النقطة المسئول من السيارة وطلب من سعيد وإخوانه أن يخرجوا منها ليتفاهم معهم فرفضوا...

كان يكلمهم وهو خائف مرتبك، ووجد الأخ السائق فرصة للتخلص من الكمين فاستغلها ومشي بالسيارة،فما كان من الجنود إلا أن أمطروا السيارة بوابل من الرصاص، ورموا عليها رماية كثيفة. أما سعيد فقد قام بالتغطية على إخوانه والرد على رماية الجنود .. إلا أنه توقف فجأة عن الرماية بينما استمر السائق في قيادة السيارة بأقصى سرعة حتى خرج بفضل الله من دائرة الخطر، ونجا بأعجوبة من كمين العملاء المحكم..

التفت الأخوة إلى سعيد فوجدوه قد استشهد إثر إصابته بطلقتين دخلت إحداهما رأسه ...

ورحل الهزبر سعيد العكبري .. رحل مرفوع الهامة عالي الرأس .. رحل وهو ثابت على مبدئه لم يغير ولم يبدل ولم يعط الدنية في دينه .. عاش عزيزا حميدا وقُتِل كما تمنى شهيدا نحسبه والله حسيبه ..

رحل بعد أن ترك وراءه رجالا لا يذرفون الدموع على من قُتِلَ منهم وإنما يسكبون الدم رخيصا في سبيل الله جل وعلا ...

وَلاَ تَراهُمْ وَإنْ جَلَّتْ مُصيبَتُهُمْ ... مَعَ الْبُكَاةِ عَلى مَنْ ماتَ يَبْكُونا

وليعلم الخونة من أزلام نظام صنعاء أن دم الشهيد العكبري لن يذهب هدرا،فلقد أقسم إخوانه ألا يضعوا بنادقهم ولا يحلوا جعبهم حتى يستأصلوا سرطان الغدر والخيانة، ويدكوا أوكار الشر الأسود في حضرموت ...

والأيام حبلى بالمفاجآت ؟؟؟

كتبها

أبو هاجر الحضرمي